واسمع الصخرة الشريفة ابنة واستغاثته الى ان كادت تنزف لعله وتبرا بعض الحجارة
من بعض واخذ الخراب عليها من نقافلين يبرح الارض وفتح من السور باب سلمهن نجا منهم ابوابا
ولفظ نعت في مجره قال عدو الكافر اليتني كنت ترابا فحينئذ يئس الكفار من الدور كما يئس
الكفار من اصحاب القبور وجاءهم امر الله وغرهم بالله الغرور في الحال خرج طاغية كفرهم
وزمام امورهم ابن بارزان سائلا ان يوخذ البلد بالسلم لا بالعنوة وبالامان لا بالسطوة
والقى بيده الى التهلكة وعلاه ذل الملكة بعد عز المملكة وطرح جبينه على التراب كان
جبينا لا يتعاطاه طارح وبذل مبلغا من القطيعة لا يطمح اليه طرف امل طامح وقال ههنا اسارى
مسلمون يتجاوزون الالوف وقد تعاقد الفرنج على انه ان هجمت عليهم الدار وحملت الحرب على ظهورهم
الاوزار بدي بهم فعجلوا وهي حتفا الفرنج واطفالهم فقتلوا ثم استقلوا بعد ذلك فلا يقتل
خصم الا بعد ان تنتصف ولا يفل سيف من يد الا بعد ان يقطع او ينقصف فاشار الامراء
بالاخذ المنسوب من البلد المأسور فانه لو اخذ حربا فلا بد ان تنقحم الرجال الانجاد وتبذل نفو
سها في اخر امر قد نيل من اوله المراد وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات
واثقل الحركات فقبل منهم المبذول عن يد وهم صاغرون وانصرف اهل الحرب عن قدرة وهم
ظاهرون وملك الاسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان فخرمها الكفر الى ان صار روضة
جنان لا جرم ان الله اخرجهم منها واهبطهم وارضى اهل الحق واسخطهم فانهم حدوا ثم الله
حموها بالاسل والصفاح وبنوها بالعمد والصفاح واودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاستبار
منها كل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ولا يتطرد لالاؤه قد لطف الحديد في تجزيعه وتفنن
في توشيعه الى ان صار الحديد الذي فيه باس شديد كالذهب الذي فيه نعيم عتيد فما ترى الا مقاعد
كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمدا كالاشجار لها من التنبيت اوراق واورد الخادم بردة
الاقصى الى عهده المعهود واقام له من الائمة من يوفيه ورده المورود واقيمت الخطبة يوم الجمعة
رابع شعبان فكادت السموات للسجود لا للوجوم والكواكب منها تنتثر للطرب لا للرجوم ورفعت الى الله
كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة وظهرت قبور الانبياء وكانت بالنجاسات مكدودة واقيمت
الخمس وكان التثليث يقعدها وجهرت الالسنة بالله اكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم امير
المؤمنين في وطنه الاشرف من المنبر فرحب به ترحيب بر بمن بر وخفق علماه في خفافيه فلو طار
جانباه فلوطار سرورا لطار بجناحه وكتاب الخادم وهو مجد في استفتاح الثغور واستشراح
ما ضاق بتمادي الحرب من الصدور فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها وايام الشتاء قد
مردت مواردها والبلاد المأخوذة المشار اليها قد جاست العساكر خلالها ونهبت ذخائرها
واكلت غلالها فهي بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم ولا تستنفد ينفق عليها ولا ينفق منها وتجهز
الاساطيل لبحرها وتقام المرابط لساحلها ويدأب في عمارة اسوارها ومرمات معاقلها وكل مشقة
بالاضافة الى نعمة الفتح محتملة واطماع الفرنج بعد ذلك غير مرجوة ولا معتزلة فان دعوا دعوة يرجو الخادم
من الله انها لا تسمع وان لا نعلوا ايديهم من اطراف البلاد حتى تقطع وهذه البشائر لها تفاصيل
لا من عنها لسنة تتشخص فلذلك نفذ الخادم لسانا شارحا ومبشرا صالحا بطالع بالخير على
سياقته ويعرض جيش المسرة من طليعته الى ساقته وهو فلان والله الموفق وهذا اخر الرسالة الفاضلية

وكان في

وكان في عزمي اختصارها والاقتصار على محاسنها فلما شرعت فيها قلت في نفسي عسى ان
يقف عليها من يوثر الوقوف على جميعها فاكملتها ورجعت عن الراي الاول وهي قليلة الوجود في ايدي
الناس وكانت النسخة التي نقلتها منها سقيمة ولقد اجتهدت في تحريرها حتى صحت على حسن
الصورة حسب الامكان ووقف عماد الدين الاصبهاني الكاتب رسالة في فتح القدس ايضا فلم ار التطويل
بكتابها وجمع كتابا سماه الفتح القسي في الفتح القدسي وهو في مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى في هذه المد
ة ورايت منذ زمان رسالة مليحة انشاها ضياء الدين ابو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير الجزري
المتقدم ذكره في حرف النون يتضمن فتح القدس ايضا وكل واحد من ارباب صناعة الانشا كان يريد
يمتحن خاطره بما يعمل في ذلك والقاضي الفاضل رئيس هذا الفن واذا شرع في شي من هذا الباب لا
يستطيع احد ان يجاريه ولا يباريه فلهذا ذكرت رسالته ورفضت غيرها خوف الاطالة وكان
قد حضر الرشيد ابو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الشاعر المشهور هذا الفتح
فانشد السلطان صلاح الدين قصيدته المشهورة التي اولها

هذا الذي كانت الامال تنتظر ... فليوف لله اقوام بما نذروا

وهي طويلة تزيد على ماية بيت يمدحه ويهنيه بالفتح واذ قد نجز المطلوب من هذا الامر فلنرجع
الى تتمة ما ذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد في السيرة الصلاحية قال وكان الصليب الذي كان على
قبة الصخرة وكان شكله عظيما ونصر الله الاسلام على يده نصرا عزيزا قلت وقد تقدم في ترجمة ارتق
طرف من اخبار القدس وان الافضل امير الجيوش بمصر اخذه من ولدي سقمان وايلغازي ثم ان
الفرنج استولوا عليه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة
وقيل في ثاني شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ولم يزل
بايديهم حتى استنقذه منهم السلطان صلاح الدين في التاريخ المذكور رجعنا الى كلام ابن شداد
وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على انفسهم عن كل رجل عشرين دينارا وعن امراة خمسة دنانير صورية
وعن كل صغير ذكر او انثى دينار فمن احضر قطيعته نجا بنفسه والا اخذ اسيرا وافرج عمن كان بالقدس
من اسارى المسلمين وكانوا خلقا كثيرا واقام به يجمع الاموال ويفرقها على الامراء والرجال ويحبو بها
الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه وتقدم بايصال من قام بقطيعته الى مامنه وهي مدينة
صور ولم يرحل عنه ومعه من المال الذي جبي له شي وكان يقارب مايتي الف دينار وعشرين الفا
وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة ولما فتح القدس حسن عنده
قصد صور وعلم انه ان اخر امرها ربما عسر عليه فسار نحوها حتى اتى عكا فنزل عليها ونظر في امورها
ثم رحل عنها متوجها الى صور في يوم الجمعة خامس من شهر رمضان من السنة فنزل قريبا منها و
سير لاحضار الات القتال ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور وضايقها وقاتلها
قتالا عظيما واستدعى اسطول مصر فكان يقاتلها في البر والبحر ثم سير من حاصر هونين فسلمت في الثالث
والعشرين من شوال من السنة ثم خرج اسطول صور في الليل فكبس اسطول المسلمين واخذ المقدم
والريس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقا كثيرا من رجال المسلمين وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور
وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الامطار وامتنع الناس من
القتال لكثرة الامطار فجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بالرحيل ليستريح الرجال

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)